

حَوَاءٌ.. هَذِهِ

هَذِهِ الَّتِي مَلَكَتْنِي غِرّاً، وَفَنَنْتِي رَيْعَانً، وَأَدْهَشْتَنِي كَهْلًا، وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَبِكِينِي ذَاتَ زَمَانٍ. هَذِهِ الَّتِي لَوْلَاهَا لَبَقِيَ الْعَقْلُ شَارِدًا لَاهِيًا يُطَارِدُ مَوْجَ الْبَحْرِ، يَكْوُمُ حَصَى الشُّطَّانِ. هَذِهِ الَّتِي جَعَلْتَ أَدَمَ يَقْضِي جُلَّ حَيَاتِهِ مَعْتَذِرًا مَمَّنْ سِوَاهِ. هَذِهِ الَّتِي جَعَلْتَ قَابِلِيلَ يَبْنُو نَدْمًا نَاعِيًا مِنْ كَانَ أَحَاهُ. هَذِهِ الَّتِي نَكَبْتَ الْأَرْضَ وَأَعْضَبْتَ السَّمَاءَ. هَذِهِ الَّتِي امْتَلَكْتَ الْوُجُودَ وَأَنْكَرْتَ الْفَنَاءَ. هَذِهِ الَّتِي جَاوَرْتَ الْمَلَائِكَةَ حِينًا، وَهَدَّهَدْتَ فِي سِرَائِرِ حَسَنِهَا الشَّيَاطِينَ أَحْيَانًا. حَوَاءٌ هَذِهِ الَّتِي أَحْبَبْتُ وَأَعَشَقْتُ، وَحَوَاءٌ هَذِهِ الَّتِي أَخَافُ وَأَقْلُقُ. أَوَّلُ الْقَوْلِ حَوَاءٌ، وَآخِرُ الْقَوْلِ حَوَاءٌ.

حَوَاءٌ هَذِهِ، دَلَالَاتٌ وَمَعْنَى

قَدْ يَكُونُ حَوَاءٌ الْإِسْمُ، وَمَثِيَلَاتٌ هَذَا الْإِسْتِقَاقُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَ غَفَارٍ وَهَمَّازٍ وَمَشَاءٍ، شَبِيهًا لِاسْمِ الْفَاعِلِ حَاوِي. وَقَدْ يَكُونُ الْفِعْلُ الْأَسَاسُ حَاوِي. فَيَكُونُ حَوَاءٌ عِنْدَهَا عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ.

حَاوِي فِعْلٌ اِحْتَوَاءٌ وَاسْتِمَالٌ، وَهُوَ فِعْلٌ سِحْرٍ وَغَوَايَةِ كَذَلِكَ. فَأَمَّا الثَّانِي فَفَاتَمُّ بِذَاتِهِ، حَاضِرٌ مِنْ غَيْرِ دَعْوَةٍ وَلَا دَاعٍ. فِعْلٌ صَارِخٌ يَلْوِي الرِّقَابَ، يُذَلِّلُ الْأَنْفُسَ. فِعْلٌ صَرِيحٌ لَطَالَمَا أَرْهَفَ الشُّعْرَاءَ وَأَنْحَلَ الرُّهَافَ، وَمَا زَالَ الشَّيْبُ وَالشَّبَابُ يَعْلَمُهُ. صَغِيرُهُمْ صَاحٌ هَاكُمُ فَاتَمْتِي، وَشَيْخُهُمْ هَمَّهُمْ.. وَيَحْكُمُ فَنَنْتِي.

وَأَمَّا مَعْنَاهُ فِي الْإِحْتَوَاءِ وَالْإِسْتِمَالِ فَحَاوِمٌ، دَفِينٌ، بَعِيدُ الْمَنَالِ كَخَزِينِ الْأَرْضِ. مَا اسْتَطَاعَتْ لَهُ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ نَقْبًا، وَلَا فَصَاحَتُهُمْ وَحِدَاقَتُهُمْ فِيهِ تَهْذِيبًا وَتَلْمِيعًا. وَحَذَهُ الزَّمْنَ، وَرِيَّاحُ التَّعْرِيبَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ، كَشَطَطَتْ مَا عَلَاهُ مِنْ رُسُوبِيَّاتِ الْأَحْقَابِ. مَعَ ذَلِكَ، يَبْقَى مَعْنَى رَهِيْفًا كَنَسِيمِ صَبَاحٍ، مَا لَمْ تَنْشُرْ لَهُ صَدْرًا وَتَخْلُجْ عَنْكَ غُلْفًا حَادًا عَنكَ وَمَضَى. رَشِيْقًا كَمَسْكَوْبِ غَمَامٍ، مَا لَمْ تُحْطِهِ بِمَجْمَعِ كَفَيْكَ اَنْسَلَّ مِنْ عِيُوبِ ضَعْفِهِمَا وَانْقَضَى.

فِي مَعْنَى الْإِحْتَوَاءِ وَالْإِسْتِمَالِ، دَاهَمْتَنِي فَرَضِيَّتَانِ. فَأَمَّا الْأُولَى فَهِيَ الْأَسَاسُ وَالْأَكْثَرُ صَحْبًا وَإِلْحَاحًا، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَطَارِئَةٌ بَيِّدٌ أَنَّهَا لَا تَنْفَكُ تَدْغِدُغٌ خَاطِرِي. لِذَلِكَ أَجْدَنِي مُرْغَمًا لِعَرَضِهِمَا كِلَيْهِمَا.

حَوَاءٌ السَّرِّ

امْتَلَكْتَ حَوَاءٌ مَفَاتِيحَ الْأَسْرَارِ جَمِيعًا فَاسْتَحَقَّتْ اسْمَهَا. حَوَاءٌ حَفِظْتَ سِرَّ الْخَلْقِ فَأَوْدَعْتَهُ عَزِيْرًا أَمَانَةً فِي نَوَاةِ كَلِّ خَلِيَّةٍ مِنْ جِسْمِهَا. تَحْتَوِي نَوَى خَلَايَا جِسْمِ حَوَاءٌ عَلَى جَسِيمِ بَار Barr Body، وَهُوَ مِمَّا تَخْتَصُّ بِهِ الْمَرْأَةُ دُونَ الرَّجُلِ. عَامَ ١٩٤٩ كَانَ الْكَشْفُ الْأَوَّلُ لِجَسِيمِ بَار. مِنْ حِينَهَا، وَالنَّاسُ تَخْتَلَفُ حَوْلَ النَّشْأَةِ وَالْوُضُوفَةِ. وَحَدِيثًا، كُشِفَ عَنْ تَرْكِيْبَةِ جَسِيمِ بَار الْمَشَابِهَةِ لِلصَّبْغِيِّ (X)، بَيِّدٌ أَنَّهُ بَدَأَ أَكْبَرَ وَزْنَ.

شَخْصِيًّا، يَتِمَّاكُنِي اعْتِقَادٌ يَرْقَى إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِيْنِ بِأَنَّ جَسِيمَ بَارَ مَا هُوَ إِلَّا الصَّبْغِيُّ الْأَنْثَوِيُّ (X*). وَبِأَنَّ هَذَا الْأَخِيرَ هُوَ نَاتِجُ اجْتِمَاعِ الصَّبْغِيِّ (X)، خَاصَّةً الْخَلِيَّةِ الْأُمِّ، مَعَ الضَّلْعِ الْمُقْتَلَعَةِ (وَرَمَزُهَا الـ*) مِنْ نَوَاةِ الْخَلِيَّةِ الْبَنَتِ الذَّكَرِ.

بِهَذَا الْمَفْهُومِ الْخَاصِّ، يَكُونُ جَسِيمُ بَارَ مَفْتَاْحًا لِأَحْجِيَّةٍ طَالَمَا شَغَلَتْ بِأَلِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ عِبْرَ كُلِّ الْأَزْمَانِ؛ أَحْجِيَّةِ خَلْقِ آدَمَ وَحَوَاءَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي نَعْلَمُ؛ وَأَحْجِيَّةِ خَلْقِ حَوَاءَ مِنْ ضَلْعِ آدَمَ؛ وَأَحْجِيَّةِ تَفَاحَةِ آدَمَ كَذَلِكَ.

لمزيد من التفاصيل، راجع مقالتي التاليتين:

"خُلِقْتَ حَوَاءٌ مِنْ ضَلْعِ آدَمَ، رَانَعَةُ الْإِبْحَاءِ الْفَلْسَفِيِّ وَالْمَجَازِ الْعِلْمِيِّ"
"مُكَاشَفَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ، سِرُّ تَفَاحَةِ آدَمَ وَسِرُّ ضَلْعِ آدَمَ"

حَوَاءٌ الْمَشْرُوعِ

اِحْتَوَتْ حَوَاءٌ فِي نَاتِهَا أَدْوَاتٍ مَشْرُوعِيهَا كَامِلَةً فَاسْتَحَقَّتْ اسْمَهَا. فَحَوَاءٌ وَظِيْفَةٌ وَدَوْرٌ. هِيَ الْمَعْنِيَّةُ أَبَدًا بِإِنْتَاكِ الْحَيَاةِ. كَيْفَ لَا؟ وَهِيَ الْمَالِكَةُ لِأَدْوَاتِهَا جَمِيعًا أَوْ تَكَادُ. فَمَبِيضَاهَا كَنْزٌ، وَرَحْمُهَا حَضْرٌ، وَثِدْيَاهَا مَاءُ الْحَيَاةِ السَّلْسَبِيلِ. وَفَوْقَ ذَلِكَ، قَلْبُهَا فَوَارٌ يَبْعَثُ الْحُبَّ بَيْنْتَرَهُ. وَعَقْلُهَا حَوَازٌ مُمَسِّكٌ بِاللَّحْظَةِ لَا يَخْلُهَا. وَأَمَّا النُّطْفَةُ، مَفْتَاْحُ مَشْرُوعِهَا وَلَازِمَتُهُ، فَقَادِمَةٌ لَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ. فَهِيَ جَرَزٌ مِنْ أَحْكَمَاتِ غَوَايَتِهِ وَأَلْبَسْتَهُ شَبَكَةَ حُسْنِهَا.

حَوَاءُ هَذِهِ.. ذَاتٌ وَثَابِتٌ

حَوَاءُ هَذِهِ، رُوْحٌ وَنَفْسٌ. فَأَمَّا الرُّوْحُ فَكَلِمَةُ اللَّهِ، زَرِيعَتُهُ وَخَاصَّتُهُ فِينَا. كَلِمَةٌ لَا رَسْمَ لَهَا. سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ التَّكْوِينِ، لَا بُوْحَ فِيهِ. وَأَمَّا النَّفْسُ فَهِيَ الذَّاتُ. وَالذَّاتُ جَسَدٌ يَنْبَضُ، يَتَفَاعَلُ مَعَ بَقِيَّةِ الشُّرَكَاءِ فِي هَذَا الوجودِ. وَعَلَى الجَسَدِ، يَنْتَأَى العَقْلُ قَائِداً مُعَلَّناً وَخَطِيباً مَفَوْهاً. هُوَ الوَجِيهُ النَّاطِقُ بِاسْمِ الذَّاتِ. بِهِ تُصَافِحُ النَّفْسُ عَالَمَهَا، وَبِهِ يَنْفُذُ العَالَمُ إِلَى ذَاتِهَا. العَقْلُ، مِنْ يُحَاوِرُ الوجودَ، وَهُوَ مِنْ يَخْصُهُ الوجودُ حَوَاراً.

والعقل، وإن كان تفاعلياً طبيعياً، تطوري السمة، فإن له قواعد عمل لا يحد عنها. هي ثوابته التي خصه بها خالقه، منهاج عمل ولزوم وظيفة. هي المشتركات بين نساء العالمين. إرث تميّن لا تنازل فيه ولا تفریط. كيف لا وهو الضامن لديمومة الجنس البشري، عالم حواء ومادة ملكها. وفي المشتركات تلمع اللحظة، عشق حواء وواسطة عقد المملكة. أجمل مقتنياتها إليها؛ فضجيجها نغم وخطوطها رسم.

اللحظة شرنقة حواء السحرية؛ بها تتحصن، من تفاصيلها تبني قصورها، ومن خيطها تنسج أحلامها. هي ضنيته بها، فعملها ممسك باللحظة لا يخلها. ترى أدواته مبنوثة في كل أنحاء اللحظة، يستعمرها. هو عالم بتفاصيلها، بكل الأسرار والخفايا. هو زاهد فيما عداها؛ الماضي عنده منفي والمستقبل لديه منسي.

عقل يعنصر اللحظة يرشفها وشاحاً لحبيب، أم وسادة لعزیز، أم مهداً لقرّة عين، وربّما هذا وذاك جميعاً.

عقل ينفخ في اللحظة حتى تستحيل دهرًا. كما ويفجرها مزقاً لا عداد لها، إن هو أراد. وكل مزقة بحية كاملة الأركان والأوصاف. هو قادر على جمع الموحّد وتمزيق المقدّد.

عقل يرسم لكل لحظة قوانينها الذاتية وعوالمها الخاصة. هو لا يراكم التجارب أو الخبرات، ولا يعتد بمبدأ التعاضد المعرفي. فأما تجارب القوم، فتخص القوم. وأما تجربته الخاصة فوليدة ظروف خاصة ليس لها مكرور. لذلك، تبقى العثرات هي العثرات، والسقطات هي السقطات، لا تبدل فيها ولا تطيف. هو عقل بلا مكرور معرفي.

عقل لا توسط فيه. فاللحظة فرح مستطير إن شاء. وإن شاء فحجيم قمطير. والفواتح أحجيات لا أبواب لها. للكلمة سحرها أحياناً، والإطراء لا يخلو من مفاعيل. لكن لا موثيق للنجاح، فالنجعة في شيء آخر لا ندركه نحن البشر.

عقل يمتهن الرشوة. والكل لديه قابل ولا يستثنى أحداً، حتى خالقه ليس بمنأى. فهو لا يمانع، حفظاً لحبيب أو استجلاباً لنصيب، أن يستعطي بدمعة، ابتهاجاً، صدقة، كل على سبيل الرشوة.

عقل متحفز على الدوام. فحواسه مزخورة، وأسلحته موفورة، وأمر النار يتربص على حدود الشفتين. الرغبة هي الأساس، والوسائل قرايب ترمى على مذابح الغايات. الكل مباح، حتى أدوات الفتك الشامل. معركة الوجود لا تهاون فيها. والفوز مفردة لا تصطف في ثنائيات القلق والتضعيف.

العطايا اللبوس

حينها، كان غراً حديث العهد بخالقه، لم يخبر بعد ما مكر الله، فامتدت يد غفلة منه وقطفت تلكم التفاحة. تلقى آدم كلمات ربّه الغاضبة، ومضى. ظن أن وعد الله انتهى عند تلك الكلمات. لا ريب أنه أمضى ليلته تلك فرحاً بمذاق ما أكل، وأنه أغمض عينين ملوهما الرضى والغرور. وإلى جانبه، رقدت هانئة شريكته في الفعل حواء.

عند الفجر، استفاق على ناتي من جسمه. يد الغفلة ذاتها، امتدت تستشعر الجديد المحدث. شعر بقوته وأحسن الرغبة ترشح من مسامه. ألقى ناظراً على شريكة الفراش، فراها على غير صورة. تكوّر جسدها الغض فجأة. غزته الخطوط والمنحنيات، وكثرت فيه الهضاب والمنعرجات. شعر بصرخة الجسد، وسرعان ما لبي النداء. تصاعد البخار. وتكاثفت قطرات بيضاء مہراقاً، غسلت أجوافاً واطفأت نيراناً. مرت عليه لحظات، حبيب فيها التّمة نعمة. تم استسلم لذات الغرور والرضى، ونام.

في الصباح، استدار بطن حواء. وبعدها بدقائق، مخصت. أبصر قابيل وهابيل نور الوجود. شعاعان من نور، بل النور جميعه. امتلأت أمهجة آدم فرحاً بما أتاه، واستولى عليه ذات الشعور من الرضى والغرور. ولا بد

أنه في ظهيرة ذلك اليوم أتكا على جذع شجرة ظليلة، يراقب جمال وروعة ما جنته يد الغفلة تلك. فتواماه بلغا ريعان الشباب قوة وبأساً.

وعند المساء، كانت الفجعة المصيبة. قابيل استل حجر عقلة طوت رأس أخيه هابيل. انطفأت شمس آدم. قتل فيه شعور الرضى والغرور بعد أن لازماه زمناً. هجرته الفرحة، واستبد به حزن مقيم لا ينتهي. أحس بمرارة العلقم في حلقه. لا اعتقد أنه نام ليلتها. الألم رهيب. والفجعة تفوق كل احتمال. فالصريع قرّة عين، والجاني قرّة الثانية. لا أثقل من همك، ولا أوجع من ألمك، آدم!

جلس آدم، والهم وحش لا يرحم زارعا أنياباً في لحم شفه الحزن وأضناه الفراق. أدرك آدم حينها وجيعة مغضبة الله. أدرك أن لا أمان من مكر الله، وأن الله بالغ أمره ولو بعد حين. ولا شك أنه أيقن أن ما أتاه في لبوس عطية لم يك إلا مجلبة للحزن وتحقيقاً لوعده الله، وأن الجسد هو أم الغريزة الولادة التي لا ينضب خزينها، وأن الكبد هو صنو الحياة لا انفصام بينهما ولا انقطاع. فآدم هذا الذي أصبح على رغبة، أمسى على ندم لا يعلوه ندم.

في سياقات مختلفة، أنصح بقراءة المقالات التالية:

- هل يفيد التداخل الجراحي الفوري في أدبيات النخاع الشوكي وذييل الفرس الرضوية؟
النقل العصبي، بين مفهوم قاصر وجديد حاضر

[The Neural Conduction.. Personal View vs. International View](#)

في النقل العصبي، موجات الضغط العاملة [Action Pressure Waves](#)

في النقل العصبي، كمونات العمل [Action Potentials](#)

وظيفة كمونات العمل والتيارات الكهربائية العاملة

في النقل العصبي، التيارات الكهربائية العاملة [Action Electrical Currents](#)

الأطوار الثلاثة للنقل العصبي

المستقبلات الحسية، عبقرية الخلق وجمال المخلوق

النقل في المشابك العصبية [The Neural Conduction in the Synapses](#)

عقدة رانفييه، ضابطة الإيقاع [The Node of Ranvier, The Equalizer](#)

وظائف عقدة رانفييه [The Functions of Node of Ranvier](#)

وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الأولى في ضبط معايير الموجة العاملة

وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الثانية في ضبط مسار الموجة العاملة

وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الثالثة في توليد كمونات العمل

في فقه الأعصاب، الألم أولاً [The Pain is First](#)

في فقه الأعصاب، الشكل.. الضرورة [The Philosophy of Form](#)

تخطيط الأعصاب الكهربائي، بين الحقيقي والموهوم

الصدمة النخاعية (مفهوم جديد) [The Spinal Shock \(Innovated Conception\)](#)

أدبيات النخاع الشوكي، الأعراض والعلامات السريرية، بحث في آليات الحدوث [The Spinal](#)

[Injury, The Symptomatology](#)

الرمع [Clonus](#)

اشتداد المنعكس الشوكي [Hyperactive Hyperreflexia](#)

اتساع باحة المنعكس الشوكي الاستنادي [Extended Reflex Sector](#)

الاستجابة ثنائية الجانب للمنعكس الشوكي الاستنادي [Bilateral Responses](#)

الاستجابة الحركية العديدة للمنعكس الشوكي [Multiple Responses](#)

التنكس الفاليري، يهاجم المحاور العصبية الحركية للعصب المحيطي.. ويعف عن محاوره الحسية

Wallerian Degeneration, Attacks the Motor Axons of Injured Nerve and Conserves its Sensory Axons

التنكس الفاليري، رؤية جديدة (Innovated View) Wallerian Degeneration

التجدد العصبي، رؤية جديدة (Innovated View) Neural Regeneration

المنعكسات الشوكية، المفاهيم القديمة Spinal Reflexes, Ancient Conceptions

المنعكسات الشوكية، تحديث المفاهيم Spinal Reflexes, Innovated Conception

خلقت المرأة من ضلع الرجل، رائعة الإحياء الفلسفي والمجاز العلمي

المرأة تقرر جنس وليدها، والرجل يدعي!

الروح والنفس.. عطية خالق وصنعة مخلوق

خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.. في المرامي والدلالات

تفاحة آدم وضلع آدم، وجهان لصورة الإنسان.

حواء.. هذه

سفينة نوح، طوق نجاة لا معراج خلاص

المصباح الكهربائي، بين التجريد والتنفيذ رحلة ألف عام

هكذا تكلم ابراهيم الخليل

فقه الحضارات، بين قوة الفكر وفكر القوة

العدة وعلّة الاختلاف بين مطلقّة وأرملة ذات عفاف

تعهد الزوجات وملك اليمين.. المنسوخ الأجل

الثقب الأسود، وفرضية النجم الساقط

جسيم بار، مفتاح أحجية الخلق